

## خمسة قروش

إلى صغيرتي ع. ر. مع الحب والإعزاز

هي طفلة لم تتخط بعد عهد التفتح والازدهار ؛ ضمن عليها القدر برفيق تأنس به ، فضلت وحيدة أبويها تعيش في كنفهما عيشة العزلة والانفراد .

دنياها التي ألفتها : عم كسيح قيد الشلل أوصاله ، لا مشغلة له في يومه الأطول. إلا الشكاية والسخط ، وعمة اغتالت المنية عائلها فخلت لطفلة أخيها ترعاها في صرامة وحزم ، فما لبثت أن فرت صلوات الطفلة بعمتها لما تلقاه على يديها من شدة وعنت .

وكانت الطفلة تلتق في الحين بعد الحين نخالة لها عقيماً لم تكتحل عيناها بمولود بعد ، فصبرت على حرمانها تمنى النفس حتى تبدت في سمائها تلك الطفلة ، فحومت حولها تحويم الحمام على فرخه الصغير .

لم يكن مستغرباً من الحالة أن تبسط لابنة أخيها جناح

حنانها كلما قدمت لزيارتها ، ولم يكن من المستغرب من الطفلة أن تسعى إلى خالتها تطلب عندها الأنايس والسلوى ، فما جمعتهما جلسة مشتركة إلا ارتدت بالحالة السن فتبدو وكأنها صبية لها ما للصغار من خصال ، وفيها ما فيهم من مرح ونزق .

واستقر في ذهن الطفلة أن خالتها ما هي إلا خدين تلعب معه وتسمر ، إذ كان من المحذور عليها أن تشارك لداها من صغار الحى الانطلاق والمراح ، فقد أزمع والدها أن ينشئها تنشئة طابعها جد وائزان .

لا غرو أن تثبت بين الخالة وبنت أختها أواصر ألفة سرعان ما تطورت فأضحت حباً عارماً يحمله كلاهما لصاحبه دون مواربة أو خفاء .

واعتادت الطفلة كلما باعدت شواغل الحياة بينها وبين خالتها أن تجلس إلى « الهاتف » تناجياً في ثرثرة موصولة ، وتنمق لها لوحاً يستوعب كل ما وقع لها من حوادث ومغامرات ، فتظفر من خالتها على متن الأثير بالمديح والإطراء في حديث مؤنس ترصعه نكات ودعابات .

ويوماً أسر إليها الهاتف نبياً أزعجها .

ذلك أن خالتها حليفة الفراش مقيدة إليه بأمر الطبيب .

وفى حجرة المريضة وقفت الطفلة على سر المرض ، وهى تنصت إلى صوت خالتها يترنم بقولها ، وقد التمع وجهها من بشاشة وإشراق :

عما قريب يكون لك رفيق تمرحين معه وتلعبين .

وانطلقت الطفلة تسأل وقد أثار قول خالتها فضولها :

متى يكون ذلك . . . أفى غد أظفر به ؟

— لا يا حبيبتي . . . بعد بضعة أشهر .

— أيمكننى أن أراه ؟

— لم يحن الوقت بعد .

— وأين هو الآن ؟

فأومأت الخالة إلى جنبها تقول وقد التمعت عيناها وتورد

خداها من اعتزاز وزهو :

هنا .

وامتدت يد الطفلة إلى خالتها تتحسسها فى رفق وتهيب .

وابتسمت الخالة تسألها :

ماذا تريدن أن يكون المولود . . . بنتاً أم غلاماً ؟

— بنتاً . . . نعم بنتاً .

واتفقا فما بينهما على نوع المولود دون أن تبدى الخالة أى

تمنع أو اعتراض .

فليكن ما يكون . . . المهم أن تظفر الحامل بمولود تسعد به  
وتستبشر .

ويوماً دلفت الطفلة إلى خالتها تحمل بين يديها صرة  
صغيرة، وتقربها من سرير الحالة تفك عقدها وهي تشقشق بقولها:  
هاك بعض الملابس . . . خطتها بيدي .

وأنشأت تعرض على خالتها مزقاً هينة لا تصلح لبوساً  
إلا للعرائس والدمى .

لم تمالك الحالة إلا أن تحتضن الطفلة تطبع على خدها قبلة حافلة  
ولسانها لا ينفك يرطب مسامع الطفلة بكلمات التشجيع والإعجاب.  
وتصرمت أيام .

وجاءتها الطفلة تزورها على المألوف ، وما استقرت بجانب  
خالتها على السرير ، حتى دست يدها في يدها تقول :  
هاك خمسة قروش . . . هدية للمولود .

فابتسمت الحالة ابتسامة ساطعة ، ثم احتضنت الطفلة  
تقبلها في شوق مزيد .

وقهقهت الأقدار وهي تضرم النار في ذلك الحلم السعيد ،  
فما نشب أن تناثر رماده في رحاب الفضاء .  
أجهضت الحالة .

وتبين للطفلة من أمشاج الأحاديث أن أمنيها خنقت في

مهددها ، وقد غيبته الأقدار في عالم بعيد المنال . . . في جب  
سحيق تسد فوهته جنادل صماء .

ومنذ ذلك الحين حبست الطفلة لسانها لا تجريه بذكرى  
ذلك الأمل المفقود .

وطويت أسابيع .

وكانت الطفلة جالسة تثرثر لحالتها تثرثرها الأنيسة .

وعلى حين بغتة كفت عن الكلام ، وواجهت خالتها  
تمس لها بما كان يشغل بالها ويمض خاطرها :

أين خمسة القروش . . . لم يعد لك بها حاجة !

وأحست الحالة بطعنة تنفذ في أعماقها ، لكنها كظمت

ألمها ، وقامت متناقلة إلى حجرة نومها ، تستخرج من صوان

الملابس صرة المزق وكانت النقود بينها ، فأخذتها وعادت إلى

الطفلة وهي تجتلب لغمها بسمة متكلفة ، وتقول :

هاك النقود يا حبيبتى . . . تستطيعين أن تبتاعى بها

ما ترغبين فيه من حلوى .

ووثبت الطفلة إلى الباب خارجة وهي تتمثل ما سيقع عليه

اختيارها لتشره ، على حين انكفأت الحالة على وسادتها تلوذ

بها لتخفى في طياتها عيناً تحيرت فيها الدموع .